﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٦﴾ [النمل: 26]

❁ مُناسَبَةُ الآيةِ لِما قَبْلَها:

في مناسبةِ الآيةِ لِما قبلَها وجوهٌ متقاربةٌ:

التَّرقّي في ذكرِ الأوصافِ الموجِبةِ للعبادةِ

منها: أنَّ قولَهُ جلَّ شأنُهُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ كالتَّرقّي، فإنَّ الهُدْهُدَ لمّا وصفَ اللهَ تعالى بما في خزانةِ خيالِهِ، مِنْ إخراجِ الخَبْءِ؛ رأى بعدَ ذلكَ تقصيرَهُ؛ لأنَّ السُّجودَ غايةُ الخُضوعِ والتَّذلُّلِ، ولا يستوجبُهُ إلّا مَنْ لهُ غايةُ الجلالِ والعظَمةِ والكِبْرياءِ، فثنَّى إلى ما في هذهِ الآيةِ[1].

ومنها: أنَّهُ لمّا كانَ الوصفُ بإخراجِ الخَبْءِ، وعلمِ المُخفَى والمُعلَنِ موجِبًا لعبادتِهِ سبحانَهُ وحدَهُ؛ صُرِّحَ بما يقتضيهِ في هذهِ الآيةِ[2]، أي: إنَّه لمّا ذكرَ استحقاقَهُ للعبادةِ بكمالاتِهِ وإنعاماتِهِ؛ ذكرَ أنَّهُ لا مُستحِقَّ للعبادةِ غيرُهُ؛ إذ لا يشاركُهُ في تلكَ الكمالاتِ والإنعاماتِ سواهُ، فكانتِ الجملةُ بمنزلةِ النَّتيجةِ لِما قبلَها[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تفرُّدُهُ ﷻ بالأُلوهيَّةِ والعبادةِ

اللهُ الَّذي لا تَصْلُحُ العبادةُ إلّا لهُ، لا إلهَ إلّا هو، فأخلِصوا لهُ العبادةَ، وأفرِدوهُ بالطّاعةِ، ولا تُشْرِكوا بهِ شيئًا، مالكُ العَرْشِ العظيمِ الَّذي كلُّ عَرْشٍ - وإنْ عَظُمَ - فدونَهُ، لا يُشبِهُهُ عَرْشُ ملكةِ سبأٍ ولا غيرُهُ[4].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّةُ فصلِ الآيةِ عمّا قبلَها:

لا يستوجبُ السُّجودَ إلّا مَنْ لهُ غايةُ الجلالِ والعظَمةِ

فُصِلَتِ الآيةُ عمّا قبلَها؛ لأنَّها كالتَّرقّي، فإنَّ الهُدْهُدَ لمّا وصفَ

(1) الطيبي، فتوح الغيب: 11/ 513.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 255.
(3) ابن باديس، مجالس التذكير، ص: 277.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 449.

اللّهَ تعالى بما في خِزانةِ خيالِهِ مِنْ إخراجِ الخَبْءِ؛ رأى بعدَ ذلكَ تقصيرَهُ؛ لأنَّ السُّجودَ غايةُ الخُضوعِ والتَّذلُّلِ، ولا يستوجبُهُ إلّا مَنْ لهُ غايةُ الجلالِ والعظَمةِ والكِبْرياءِ، فثنَّى إلى ما في هذهِ الآيةِ، ولذلكَ قطعَهُ مِنَ الأوصافِ الجاريةِ على اللّهِ في الآيةِ السّابقةِ[1]، وفصلت الآية لما في هذهِ الآيةِ مِنْ معنى التَّعليلِ لوصفِهِ ﷻ بكمالِ القُدرةِ وكمالِ العلمِ[2]، فيكونُ فصلُها عمّا قبلَها؛ لما بينَهما مِنْ شِبْهِ كمالِ الاتِّصالِ؛ لأنَّها استئنافٌ تعليليٌّ لهُ، وجوِّزَ أنْ تكونَ استئنافًا بمنزلةِ النَّتيجةِ للصِّفاتِ الَّتي أُجريَتْ على اسمِ الجلالةِ في الآيةِ السّابقةِ، وهو المقصودُ مِنْ هذا التَّذييلِ، أي: ليسَ لغيرِ اللّهِ شُبْهةُ إلهيَّةٍ[3].

بلاغةُ افتتاحِ الآيةِ بلفظِ الجلالةِ:

ملاءمةُ لفظِ الجلالةِ لمقامِ العبادةِ والتَّوحيدِ

لمّا كانَ السُّجودُ المذكورُ في الآيةِ السّابقةِ غايةَ الخُضوعِ والتَّذلُّلِ، ولا يستوجبُهُ إلّا مَنْ لهُ غايةُ الجلالِ والعظَمةِ والكِبْرياءِ؛ جيءَ بقولِهِ تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ۩﴾ مقطوعًا عنِ الأوصافِ الجاريةِ على اللّهِ، وأُتيَ باسمِ الذّاتِ الجامعةِ، وقُرِنَ بكلمةِ التَّوحيدِ[4].

بلاغةُ الحصرِ في قولِهِ تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾:

الحصرُ حقيقيٌّ مناسبٌ لمقامِ إثباتِ الوحدانيَّةِ

عُبِّرَ بـ ﴿لَآ﴾ النّافيةِ للجنسِ في قولِهِ تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾؛ لإفادةِ استغراقِ النَّفيِ لجميعِ الآلهةِ المعبودةِ، وأُردِفَ بالاستثناءِ بـ ﴿إِلَّا﴾؛ لدفعِ توهُّمِ دخولِهِ جلَّ شأنُهُ في النَّفيِ العامِّ، وهذا القصرُ حقيقيٌّ، وهو مِنْ قصرِ الصِّفةِ على الموصوفِ، وفيهِ مبالغةٌ في إثباتِ وحدانيَّتِهِ ﷻ؛ إذ أُثبِتَتْ لهُ الألوهيَّةُ بعدَ نَفْيِها عن كلِّ ما سواهُ.

(1) الطيبي، فتوح الغيب: 11/ 513.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 10/ 188.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 255.
(4) الطيبي، فتوح الغيب: 11/ 513.

سرُّ التَّعبيرِ بعنوانِ الرُّبوبيَّةِ:

خُضوعُ جميعِ الأشياءِ لرُبوبيَّتِهِ تعالى

عُبِّرَ بعنوانِ الرُّبوبيَّةِ في قولِ اللهِ جلَّ ذكرُهُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ۩﴾؛ للإشارةِ إلى رُبوبيَّتِهِ ﷻ لجميعِ الأشياءِ، وهذا الوصفُ مناسبٌ لسياقِ إثباتِ انفرادِهِ ﷻ بالأُلوهيَّةِ والعبادةِ، لا سيَّما وقد وردَتْ هذهِ الآيةُ عَقِبَ الإخبارِ بعبادةِ بِلْقيسَ وقومِها للشَّمسِ مِنْ دونِ اللهِ، معَ أنَّها خَلْقٌ مِنْ مخلوقاتِهِ ﷻ، وأثرٌ مِنْ آثارِ صنعتِهِ، أي: لمّا ذكرَ وحدانيَّتَهُ في الألوهيَّةِ؛ ذكرَ وحدانيَّتَهُ في الرُّبوبيَّةِ، بانفرادِهِ بالخلقِ والملكِ والتَّصرُّفِ والتَّدبيرِ(1).

نكتةُ تخصيصِ العَرْشِ بالذِّكرِ:

أعظمُ المخلوقاتِ مملوكةٌ للهِ المستحقِ للعبادةِ والسجودِ

خُصِّصَ العَرْشُ بالذِّكرِ في قولِهِ جلَّ سُلطانُهُ: ﴿رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ۩﴾ مِنْ بينِ سائرِ المخلوقاتِ المربوبةِ لهُ تعالى؛ لأنَّهُ أعظمُ المخلوقاتِ، وما عداهُ في ضِمْنِهِ وقَبْضتِهِ(2)، وذلكَ يدلُّ على أنَّهُ سبحانَهُ هو المُتَّصِفُ في القُدرةِ والرُّبوبيَّةِ بما لا مزيدَ عليهِ(3)، وفي هَذا تَعْريضٌ بِأَنَّ عَظَمَةَ مُلْكِ بِلْقيسَ وعِظَمِ عَرْشِها ما كانَ حَقيقًا بِأَنْ يَغُرَّها بالإعْراضِ عَنْ عِبادَةِ اللهِ تَعالَى؛ لِأَنَّ اللهَ هوَ رَبُّ المُلْكِ الأَعْظَمِ، فَتَعْريفُ العَرْشِ؛ لِلدَّلالَةِ عَلَى مَعْنَى الكَمالِ(4).

معنى التعريفِ في لفظ ﴿ٱلۡعَرۡشِ﴾:

العَرْشُ العَظيمُ هو الفُلكِ الأعظمِ المحيطِ بالعوالِمِ العُليا

جيءَ بلفظِ العَرْشِ في قولِ الحقِّ تقدَّسَتْ أسماؤُهُ: ﴿رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ۩﴾ مُعرَّفًا؛ للدَّلالةِ على معنى الكمالِ(5)، وكأنَّهُ وحدَهُ الَّذي يستحقُّ أنْ يُسمَّى عَرْشًا؛ لغايةِ عِظَمِهِ، فهو أعظمُ المخلوقاتِ، فإذا عُرِّفَ؛ فإنَّهُ لا ينصرفُ إلّا إلى عَرْشِهِ تعالى، فلَهُ العظَمةُ المُطلَقةُ عندَ كلِّ الخَلْقِ(6).

(1) ابن باديس، مجالس التذكير، ص: 277.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 257.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 24/ 553.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 256.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 256.
(6) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 17/ 10774.

بلاغةُ التَّعريضِ في ﴿رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾:

بين العظمتين بونٌ عظيمٌ

يحتمل أن يكون قول الحقِّ جلَّ ثناؤُهُ: ﴿رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾، من كلام الهدهد؛ استدراكًا لما وصفَ عرش بلقيس بالعظم، وأن يكون من كلام الله تعالى؛ ردًّا عليه في وصفه عرشَها بالعظم فبين العظمتين بونٌ عظيم، وفيه تعريضٌ بأنَّ عظَمةَ مُلْكِ بِلْقيسَ وعِظَمَ عَرْشِها ما كانَ حقيقًا بأنْ يَغُرَّها بالإعراضِ عن عبادةِ اللهِ تعالى؛ لأنَّهُ هو ربُّ المُلْكِ الأعظمِ[1].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 256.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأربعون،
سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الأربعون، سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 40 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-90-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 40 : المجلد الأربعون، سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-90-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9294238 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»